

# الإيمان

الأحد ١٠/١٠/١٩٩٦م الموافق الجمادى الثانية ١٤١٧هـ، العدد ٢٩٦، السنة الأولى 1 Volume No. 296 Issue No. 20/10/96 Sunday

## دقائق الإيمان

### سري نسبية «الحرية بين الحد والمطلق»

بقلم: عزت الغزاوي

لست أدري إن كان الشاعر العربي أدونيس قد إطلع على كتاب سري نسبية الجديد «الحرية بين الحد والمطلق» على أن المهم في الأمر مقولة الوضع الخاص للفلسطينيين والذي يؤهلهم تماماً كي يكونوا بوابة أمنة لمستقبل الحرية الفردية والجماعية في العالم العربي هي مقولة يؤمن بها كل منهما رغم أنهما لا يخفيان نوعاً من القلق إزاء احتمالات المستقبل وقدرة الفلسطينيين على الإمساك باللحظة النفسية القوية هذه حتى تحدث التحولات المطلوبة بالنسبة لمستقبل الحرية في الشرق عموماً وفي الوطن العربي خاصة. ففي كلمات سري نسبية «أنا نبداً من وضع يشعر فيه كل مواطن أنه صاحب حق كغيره، وأن الحق السيادي هذا ينبع من عنده، وهو ليس أمراً مخزوناً لدى سلطة أو قيادة أو حكومة أو نظام يتصدق به على المواطن كيفما يشاء». (١٤٣).

ويكلمات أدونيس في مؤتمر بروكسل الدولي «انكم - أي الفلسطينيون - آخر مخزون لحرية المثقف، وأن أية مخاطرة بهذا الدور ستضعنا جميعاً أمام مائة عام أخرى من النضال من أجل الحرية»؟  
وبالطبع، فيما عدا مشاركتي للكاتبين الإيمان ذاته، سيصعب عليّ تحديد لماذا اخترت هذه البداية للتحدث باختصار شديد عن كتاب سري نسبية «الحرية بين الحد والمطلق» الذي لا تغني عن قراءته أية مراجعات مهما كانت دقيقة. الكتاب أولاً يأتي مبادرة وإسهاماً من الكاتب في إثراء الحالة الثقافية في فلسطين، وله السبق في أنه أول كتاب من نوعه يصدر محلياً حول موضوع الحرية الفردية والاجتماعية في ظروف دقيقة تتزايد فيها الأسئلة حول طبيعة انحيازنا كشعب - ونحن نؤهل أنفسنا للاستقلال - وفيما إذا كنا سنختار شعلة بروميتوس أم سنرضى بالقدر المحيط بنا حيث تغنى الذات في المجموع أو تغنى الذات في النظام.

والكتاب يختار طريقة فلسفية - جدلية ذات خلفية سياسية تُخضع النظرية للتطبيق في طرح فكرة الحرية في موازينها المختلفة وفي مقابلة مع باقي القيم الأخلاقية (الحق والخير) بحيث يبدو واضحاً في هيكلية الكتاب أن الجزء النظري منه جاء ليخدم الجزء التطبيقي الذي هو في حقيقة الأمر استنتاجات لوقفة متأنية وطويلة مع صراع الشعب الفلسطيني من أجل البقاء. لقد كان من شأن هذا الصراع (الذي اتصف لفترة طويلة بالدموية وربما تطول هذه الفترة) أن يضع الفلسطيني في إشكالية حقيقة قامته الإنسانية على وجه الأرض حين يتطلب الأمر المقارنة مع الآخر أو حين يتطلب الأمر تحديداً دقيقاً لمعاني مجردة من بينها الحرية والعدالة وذلك بسبب التدخل الهائل للبعد العاطفي في التعامل مع الموت والقمع والهدم والسجن وغير ذلك من الأخطار المحدقة بالفلسطيني، وما أدى إليه ذلك - كما يقول سري نسبية - من تداخل مع البناء الثقافي. إن كل ذلك قد وضعنا في

(القتمة ص ١٨)

## دقائق الإيمان

دائرة كره شديد لما مثلته الصهيونية من احتلال طويل وظلم أطول، لكن اختيارنا لاستراتيجية السلام يضعنا في مقابلة شديدة التباين مع ذات المعاني السابقة: أين سنمضي بمفهومي الحرية والعدالة ضمن الاشتراكات الأخلاقية التي لا تسمح لنا بتعدد الموازين حتى لو قبل بها الآخرون؟ إن الكتاب - في استنتاجه النهائي وفي اعتقادي يتكلم عن ضرورة وجود الخطاب الواحد الذي لا يعرف التلون والتعدد لأن الحرية والعدالة مطلوبتان في «الحد والمطلق» كي يرضى قلب الإنسان عن نبيله وسلامة مبررات وجوده. الكتاب يعادله فقط هذا الاحساس بالصدق والعمق والانتماء الإنساني الشامل والتفوق على الذات الذي يمارسه الكاتب في كل مراحل حياته، وما عدا ذلك فلا بد من قراءته كوثيقة مهمة للآن والمستقبل.